

الخميس 07-01-2010

860 - "مَعَهُ، وَأَنَا مَعَهُ":



في شرف صحبة نجيب محفوظ

الحلقة الخامسة

الجزء الأول

الاثنين 1994/12/26

قال الاستاذ، الآن نحن نخرج الجمعة والثلاثاء، ثم أضاف: وقد يمكن أن نعيد لقاء الخرافيش بعد المحاكمة كل خميس.

لماذا يشغل باله بالمحاكمة، ماله هو بها الآن، هم مجرمون مساكين، وسوف يأخذون جزاءهم لا أكثر ولا أقل، قال: ربما صدر حكم شديد، فيثير زملاءهم وأشياء من هذه، قلت له وما لهذا بخروجنا الخميس أو الثلاثاء، قال ربما كان الإفلال من الخروج أفضل حتى تهدأ الأمور، لم أوافق، خاصة وأنني لم أعتبر أبداً أن في الخروج خطر ماء، ولا أن البقاء بالمنزل هو الحماية، فالخطر في عقولنا وليس في الشارع. لم أشاهد عليه أي خوف وهو يحكي هذا الكلام، كان هو الرجل الذي يسمع كلام المختص الرسمي، فما دامت الحكومة ترى، أو هو يتصور أنها ترى أن ثم خطراً، فليكن، أوصلته له رأيي، أنه أكثر الله خير الحكومة، ولكن للمسألة حسبة أخرى، ووافق بسهولة على أن أقوم بتنظيم الخروج، جرعته وأماكنه بما في ذلك دواعي الأمن، وضحك، قلت له: إلا هذا، قال: خلها على الله.

قال: ما زلت أدعوك للانضمام إلينا، إلى الخرافيش، قلت له وأنا أحاول أن أخفي رغبتني في ذلك، حتى عن نفسي، هذا تاريخ طويل وأحسب أنها دائرة مغلقة، ثم أين هم؟ من تبقى منهم؟ شكرته على دعوته، لكنه أكد لي أن الأمر ليس كذلك، أو أنه لم يعد كذلك، فلا أحد بقي منهم سوى توفيق،

ثم أردف: هيا ابجث لنا عن يوم منتظم آخر تخرج فيه أيضا، فرحت بمبادآته المتلاحقة التي تدل على قراره بمواصلة الحياة بكل حب وشوق، اقترحت الفاضلة زوجته مكانا تعرفه وهو نادي المخابرات، وأخبرتنا أنه على طريق المعادي وأنه جميل وكذا وكيت، ابتسم الأستاذ وقال هذا ناد خاص لعلية القوم يحتاج إلي واسطة كبيرة، تدخلت مذكرا إياه أنه نجيب محفوظ، وأنه واسطتنا جميعا إلي أي مكان عند أي شخص، فمضى يكمل وكأنه لا يريد أن يضع هذا المتغير (أنه نجيب محفوظ) في حسابه، وحديثي عن زوجة ابن أخيه (سنية هاتم) وأن لها قريب في المخابرات يمكن أن يكون واسطتنا - عدت أذكره بإصرار أننا لا نحتاج واسطة لنذهب إلى أي مكان، وأنتي كنت أحسبه بمزح وهو ينسى قيمته التي لا تحتاج وسيط، هز رأسه بتواضع و ابتسم دون أن يرد مباشرة، ثم راح يشرح نفسه بأنه يعرف أن كل الأماكن الأخرى يمكن ترتيب وتذليل ارتيادها من خلال السلطات الأمنية المعينة لنا من قبل الدولة، أما المخابرات، وضحك، وعرفت برغم ضحكه أنه جاد، واحترمت إصراره على أن يشعر بمشاعر شخص عادى، يبحث عن زوجة ابن أخيه، ليتوسط لنا قريبا الذي في المخابرات، لكي يسمح لنا بكذا أو كيت، من هذا الرجل؟ هذه الشخصية الفريدة تصر أن تكون مجرد إنسان مصري عادي جدا إلى هذه الدرجة، وتذكرت تنبيهه لي إلى تجاوز يوسف القعيد حين نسي المعنى الرسمي لمطالب مستشفى الشرطة، وكيف قال لي آنذاك "أنا كموظف... إلخ" (انظر نشرة 31-12-2009)، الناس في بلدنا - وهو الأعلم بناس بلدنا، يعتبرون أن أي واحد له صلة بالحكومة هو قادر على كل شيء، كان جمال الغيطاني قد ذكر لي كيف أن بعض الخطابات أو الزوار (لست متأكدا) كان يطلب من الاستاذ بعد الحادثة أن يتوسط له في استلام شقة شعبية، حكيت له حكاية حلاق قريتنا، عم محمود المزين، وهو يطلب من أبي بصفته مدرس في المدارس الأميرية أن يوصي حضرة الناظر على إبنه في مدرسة شين الكوم التجارية، مع أن بلدنا كانت مركز السنطة غربية حتى ذلك الحين، وكان أبي قد نقل حديثا إلي القاهرة، وجين سأل أبي عم "محمود" عن اسم ناظر المدرسة أو عنوانه أو أي شيء يشير إليه، ابتسم عم محمود المزين في ثقة وهو يتعجب، قائلا: "إهيه!!! ما هو وياكو في مصر"!! ويبدو أنه كان قد بلغه خبر نقل أبي إلى القاهرة، فاعتبر أن مجرد وجود والدي في القاهرة، حيث يسكن ناظر مدرسة شين الكوم فيها ويحضر إلى شين يوميا، هو كاف لأن يتعرفا على بعضهما البعض، وبالتالي يمكن لأبي أن يتوسط عند الناظر لابنه ليأخذ باله منه في المدرسة، حكيت للأستاذ هذه الحكاية وأنا اداعبه أنه ما دام في مصر، ورئيس نادي المخابرات "وياه في مصر"، فنحن لا نحتاج إلى واسطة قريب زوجة ابن أخيه!! ضحك الأستاذ وهو يلتقط ما أريد، وربت على كتفي، وقال: مصر أصبحت كبيرة أكبر مما كان يحسب عمك محمود المزين، وأنا لم أعد موظف أميري مثل المرحوم والدك.

من هذا الرجل؟ هل هو ينكر قيمته أم ينساها؟ هذا ليس تظاهرا بالتواضع، هذا هو ما هو، يا ترى هل تكون قيمته الحقيقية، أنه إنسان يسعى في الأرض، هي أكبر من قيمته التي تصل إلى الناس وحوله كل تلك الهالات، أنا لست أمام عباس العقاد بذاته العملاقة التي تصل إليه قبل كل آخر، حتى حسبت يوما حين كنت مواطنا معه "ويانا في مصر الجديدة" وكنا نتحدث عن صالونه بيت أستاذي محمود محمد شاكر، الذي كان يضعه حيث يريد فقط، أو ربما حيث هو، حسبت أيامها (14 سنة) أن فرط طول قائمة العقاد، وكان قد جاء ذكرها، هو قرار منه شخصيا، ليثبت أنه أعلى من الآخرين، ولا هذا الرجل أمامي هو طه حسين، وقد حكى لي لاحقا عن زيارته له في بيته، في لقاء مشهور أعده أنيس منصور، وسجل تليفزيونيا وأظن أنه أعيد عرضه عدة مرات، وقد يأتي ذكره لاحقا في هذه التداعيات، إنه فقط نجيب أفندي محفوظ، "عبد ربه"، : المصري الطيب القادر على الحفاظ على نفسه العادية جدا، باحثة تائهة ذلك التوه الإيجابي القادر بين دروب المعرفة، عبد ربه التايه (أنظر بعد) ، ربما هذا هو أهمل ما في الرجل.

حين ورد ذكر ملحمة الحرافيش وكيف أنها لاقت نقدا جديرا بها في لندن بعد ترجمتها (كان د.صبري حافظ، قد ذكر لنا ذلك في لقاء الثلاثاء غدا)، اقترح أحد الجلوس أن يجمع الاستاذ كل ما يُكتب عنه ليكون مرجعا موثقا مهما للتاريخ ولنا وله، رد الأستاذ أنه مرت عليه فترة كان يجمع فيها ما يصله عنه أو عن كتاباته، أولا بأول، من مثل ذلك مما يكتب هنا وهناك، ثم أردف أنه كان يرجع إلى هذا الذي جمعه بين الحين والحين يقلب فيه، فيجده مكررا بشكل أو بآخر، وحين ضعف بصره، أصبح يمزق كل ما يأتيه أولا بأول خشية أن يتلف البيت بالأوراق المعادة، ثم راح يمزق الباقي تدريجيا بعد أن عجز عن ترتيبه، وهنا اقترح أحد الحاضرين أن نتولى نحن عنه فرز ما عنده من أوراق وتصنيفها، فابتسم شاكرا وهو يؤكد أنه "ما يستاهلشي"، ما هو هذا الذي لا يستأهل يا سيدى؟ لماذا هكذا؟ لا أعتقد أن ما بهذه الأوراق مجرد مديح ساذج، بل إنني أتصور أن به لمحات نقدية قد تكون نادرة وهامة وبالغة الدلالة، حاولت أن أحتج على موقفه هذا، لكنه لوح بيده وهو يقول، أنا مليك التمزيق، كلما تراكم عندي كوم من الأوراق لا أعرف ما بها هات "شُرْمَطْ، شُرْمَطْ، شُرْمَطْ"، وإلا فإننا لن نجد مكانا ننام فيه.

ابتسمت مرغما، وأحبيته جدا.

ولما كانت الزوجة الفاضلة هي صاحبة اقتراح نادي المخابرات فقد تصورت أنها يمكن أن تصحبنا هي وكرميته، وأهت لزوجته الفاضلة إلى استعدادي أن تصحبنا زوجتي، وقد واكبث خروجه من المستشفى كما ذكرت سابقا، وربما اصطحبتنا بنتاي إذا وافقت كريمته، كل هذا وأنا أتصور أن اقتراح الزوجة الفاضلة لهذا المكان (نادى المخابرات) كان وراءه هذا

الاحتمال، وهو أن يخصص يوماً من أيام خروجه ليكون مع أسرته الصغيرة الجميلة، أذكر أنني أوصلت له هذا الاقتراح من بعيد لبعيد، فلاحظت أنه تعجب للاقتراح جداً ولم يعقب، وحين أعدت النظر إلى وجه زوجته الكريمة فهمت منه أنها تنبهني أنني لا أعرفه، وحين استمر عدم فهمي، أشارت لي ما معناه أن هذا يتوقف عليه، وحين تمادى في صمته، اعتذرت برفقة مهذبة: أن هذا قد لا يتناسب مع وقت البنات وعملهما، وفهمت أكثر طبعه الرجالي جداً، ولزمت حدودي جداً، ولم أعد لمثل هذه الاقتراحات العائلية ثانية أبداً .

سألته عن الدكتور 'فتحي' صاحب الفضل الأول - بعد الله- في إنقاذه يوم الحادث، وكيف أنني لم أراه بين أصدقائه وقد مضى شهران من صحبتي إياه، فذكره بخير كثير، ولكنني كنت أبحث عن عاطفة أخرى لمستها وهو يذكر زكي سالم أو توفيق صالح بوجه خاص، ما وصلني منه عند ذكر د.فتحي هو مزيج من عاطفة قوية صادقة، وعرفان طيب جداً، لكنه مختلف، وقال الأستاذ بطيبة محبة إنه (د. فتحي) يزوره عادة مساء الجمعة.

سألته أن يفضل لي بعض ما ذكر يوم الجمعة السابق من حديثه عن الشيخ الخضري وحواره مع سعد باشا (زغلول) فأعاد كيف أن سعد باشا سأل الشيخ الخضري عن مصادره في كتابة بعض ما كان يناقشه فيه من إسلاميات (في التاريخ على ما أذكر) فأجاب الشيخ الخضري إجابة جعلت سعد باشا يتقصى أكثر، ثم يعقب للشيخ الخضري: ' إن ما رجعت إليه من مراجع هو نفسه يحتاج إلي مراجعة. '، وعقب الأستاذ أنه: من هنا كانوا يزرعون فينا الحرية الفكرية حقيقة وفعلاً'

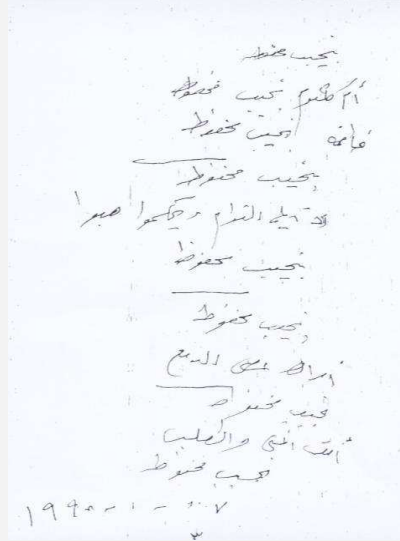
كذلك رحلت أتأكد من اسم كان قد ذكره في نفس الجلسة (الجمعة) وهو اسم الشخص الذي كان يبالغ في الدعوة إلي أن نتبع الغرب حذوك النعل بالنعل (أو حذوك الكأس بالكأس - كما قيل قياساً) فقال إنه محمود عزمي، وحين ذكرته بعبد العزيز باشا فهمي الداعي إلي كتابة العربية بالحروف اللاتينية، قال: إنهم كانوا لهم نفس التوجه.

وإلى حلقة قادمة

الجزء الثاني

من كراسات التدريب (1)

صفحة 3



نجيب محفوظ

أم كلثوم نجيب محفوظ

فاطمة نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

ألا أيها النوام ويحكموا هبوا

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

أراك عصي الدمع

نجيب محفوظ

أنت المتى والطلب

نجيب محفوظ

1995-1-7

نلاحظ

نفس البداية، ، خطر لي الآن أن كتابة اسمه في كل بداية ليست دليلاً على أي تركيز على ذاته، لكنها بمثابة "فتح كلام"، أو تليين الحركة، لأن اسمه الذي وقّع به آلاف المرات، هو الأقرب إلى البداية به "الفك الزيت"، فهو يتحائل على البداية، كما يجوز أنه دأب أن يلحق باسمه اسمي كرميته، وكأنه يكرر ما اعتاد عليه من كتابة اسمه، فضلاً عن قرعها الشديد من قلبه، وحضورها الدائم في وعيه، وربما أيضاً لأن بكل اسم منهما كلمتي "نجيب محفوظ" اللتان تسهلان البداية، ربما.

ثم نلاحظ أنه كرر اسمه هنا بعد الخطأ، في منتصف الصفحة في كل فقرة تالية، ربما لنفس السبب، للتأكيد على نسبة ما تحويه كل جملة لاحقة من انها تمثل رأيه جداً، مثل:

يا أيها النّوأم وجمكوا هبوا

نجيب محفوظ أكثر من يعرف، أو من أكثر من يعرف ما صرنا إليه من كسل، أو نوم في العسل أو في الطين، وهو ينبهنا أنه أن الآوان أن نفيق. نجيب ليس خطابياً أبداً، لا في إبداعه، ولا حتى في زاويته في الأهرام، فلم تصلني هذه الصيحة الإيقاظية على أنها خطابة، خاصة وأن أصل البيت الذي قاله جميل بثينة هو في الحب

ألا إيهـا النّوأم وجمكوا هبوا / أسألـكم هل يقتل الرجل الحب

لا أستطيع أن أجزم، وإن كنت أرجح المعنيين معا: الحب، ونفي الإفاقة والدعوة للصحة

المعنى العاطفي في شطر البيت يغلب ترجيحه إذا نظرنا إلى مزاج الكاتب لحظتها وهو يلحقه بـ أي فراس الحمداني ، وأم كلثوم معا

"أراك عصي الدمع"

أما أم كلثوم، فنحن نعرف من هي عنده، وأين هي في قلبه ، ووجدانه، ووعيه، واسم كرميته، ومع ذلك فقد أطل على من خلال إثباته هذا الشطر، كل البيتين الأولين من قصيدة أبي فراس الحمداني،

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر

أما للهوى نهى عليك ولا أمر؟

بلى، أنا مشتاق وعندي لوعة

ولكن مثلي لا يذاع له سر!

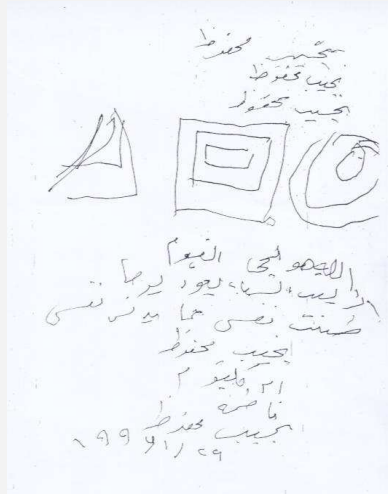
لم يغب عني أبداً أن نجيب محفوظ هو المشتاق الدائم إلى كل ما هو جميل في الحياة، بل إلى كل ما هو حياة، أما أن "مثله لا يذاع له سر"، فهذا ما لا يعرفه أحد عن هذا الرجل، عاصرته سنين عدداً، وكنت أعلم دائماً أن وراء كل ما عرفناه هناك سر لا يذاع، وآمل أن يكون قد أذاعه إلى صاحبه حين التقاه سبحانه وتعالى، وهو لا يحتاج إلى أن يذاع له سر أيا من كان.

أما الجزء من الشطر الأخير الذى اختتم به محفوظ هذه الصفحة فهو: "أنت المنى والطلب"، وهو من القصيدة الجميلة للإمام الشبراوى، التى خنّها لأم كلثوم الشيخ أبو العلا محمد سنة 1926

وحقك أنت المنى والطلب
وأنت المراد وأنت الأرب
ولي فيك يا هاجري صبوة
تخبر في وصفها كلُّ صب
وبعد

الأرجح عندى أن كل شطر، أو جزء من شطر، كان يرد في هذا التدريب، كان يحمل معه تاريخ شجنه، وعلاقة محفوظ به، مرتبطا بجالته أو بعض حالته وقت كتابته: هذا المزيج من الصبر، وعصيان الدمع، والمنى، والأرب، والصبوة، والخيرة، هى ما عشته مع نجيب محفوظ في هذه السن بعد هذه الإصابة، وبكل تلك الإعاقة، شكرا يا سيدى على ما وصلنى ويصلنى منك.

صفحة 4



نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

الله هو الخى القيوم

ألا ليت الشباب يعود يوماً

صنت نفسي عما يدنس نفسي

نجيب محفوظ

أم كلثوم

فاطمة

نجيب محفوظ

1995/1/29

نلاحظ

لم أوصه بأن يجرب تدريب يده بالرسم، لكنه هكذا فعلها وحده تلقائياً في بدايات التدريب، ما زلنا على بعد أقل من ثلاثة أشهر من الحادث، وقد بد خط شيخنا يتحسن جدا (وإن كان قد ساء بعد ذلك أحيانا، كما لاحظنا في كتابته للأحلام، ولهذا تفسير قد أعود إليه).

خاب رأيي الذي ذكرته في قراءة الصفحة الماضية، فهو هذه المرة لم يبدأ بكتابة نجيب محفوظ ليفك الزيت، ولا كتب أسماء كرميته مجرد أن أباهما اسمه نجيب محفوظ، كنت أستطيع أن أراجع عن هذا التفسير بأن أشطبه الآن، لكنني فضلت أن أتركه حتى يشاركني القارئ احتمالات خطأ التأويل أولا بأول.

بدأ هذه المرة بنجيب محفوظ، لينتهي بنفسه وكريمته، مما قد لا يحتاج إلى الإشارة بعد ذلك.

أما المحتوى هذه المرة فهو شديد الإيجاز شديد الدلالة (مثل كل حرف خطه)، "الله الحى القيوم"، هو القادر على أن يعيد الشباب، وأنا لم أره أبدا إلا شابا.

أما "صنت نفسي عما يدنس نفسي" فبرغم من أنه فعلا صان نفسه عما يدنس نفسه، وقليل ما هم، إلا أنني رجحت أن البيت الثانى هو الذى استدعى هذا البيت دون أن يظهر، وهو البيت الذى يقول فيه البحترى :

وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ التَّمَا سَأَ مِنْهُ لَتَعِيسِي، وَنُكْسِي

هذا الرجل-محفوظ- تماسك حين زعزعه الدهر، تماسك تماسكا لا أعتقد ان له مثيل بالدرجة التى وصلتني، فإن كان له مثيل فأنا أحب ذلك، لا أميل في رؤيتي له أن اعتبره استثناء للقاعدة، هو لم يكن يعتبر نفسه استثناء، لم يكن يجب الاستثناء، وكان يفرح حين أقول له إن مصر قادرة على إفراز عشرات "نجيب محفوظ"، ويدعولى،

رجعة إلى البيت الأول قبل وتماسكت... يقول:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يَدْنُسُ نَفْسِي، وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كَلِّ جَبْسِي

أما الجَدَاءُ، فهو العطيَّةُ : منحه عطيةً؛ جداه مبلغاً من المال مكافأةً على جهوده

وجدا عليه: أعطاه الجدوى. - وجداه: سأله عطيةً، أو سأله حاجة

ما تزال بلدان العالم الثالث تجدو البلدان المصنّعة .

وأما الجيس فقد اخترت المعنى الذى ترفع عنه محفوظ وهو: الفاسق والرديء، والجبان واللئيم

محفوظ لم يترفع عن نوبل، برغم الشبهات التي تدور حولها، فهو قد رفع من شأنها، واستعجلوا التمداد في تلوثها، وهو لم يترفع لا عن جوائز الدولة، ولا عن أى تقرير طيب كريم، من أول جائزة قوت القلوب الدمرداشية، لكن ، دون أن يحكى لي: هو قد ترفع عن عطية كل لئيم، وكثير ما هم (بما في ذلك بعض دور النشر).

وإلى حلقة قادمة .

تنوية :

(لا يحسن أحد أن حضور الاستشهادات والاستطرادات هي دليل على موسوعية أو ما شابه، الفضل في أى من ذلك هو لما تحفنا به سيدنا جوجل - جزاه الله خيرا - من ذاكرة عامة، جعلت الأمن أمثالي لا يحتاجون لذاكرة خاصة مثل تلك التي كانت عند المرحوم "حسن الكرمي" في إذاعة لندن العربية لسنوات: برنامج قول على قول حتى الستينيات).